

اجتهادات تقدميون ضد التقدم؟

يُثير موقف اتجاهات أساسية في أوساط الليبراليين الاجتماعيين واليساريين تجاه تغيير السياسة البيولوجية، الذي تناولته أمس، جدلاً يستحق التأمل. فهل يعنى اعتراض اتجاهات تُعد تقدمية في رؤيتها لمستقبل الإنسان والمجتمع على هذا التغيير موقفاً ضد التقدم؟ وهل في الأمر مفارقةً تاريخيةً على النحو الذي يتصوره البعض؟

يقول الليبراليون الاجتماعيون واليساريون إن مقاومتهم تغيير السياسة البيولوجية ليس ضد التقدم، بل ضد التلاعب بالكائن البشري، والتدخل في تكوينه البيولوجي، سواء بتعديله وراثياً أو بوضع رقاقات إلكترونية في دماغه، أو غير **Computerised Implants** ومُستزرعات مُحوسبة. ذلك مما يُنذر بعواقب وخيمة.

وهم ينطلقون، في رؤيتهم هذه، من أن التلاعب بالإنسان على النحو الذي سيصل بالتفاوت **Cyborg** يُحبذه المُبشرون بتحويله إلى كائن حي سيبراني بين البشر إلى مستوى لا يمكن الرجعة عنه، وقد يكون الظلم الاجتماعي السائد الآن مثقال ذرة بالنسبة إليه. فما تُعد مزايا يتخيلها المُبشرون بهذا الكائن لن تكون متاحة إلا لمن يملكون تكلفتها، أي للقلة الأكثر ثراءً. ونفوذاً، ومعهم التقنيون الذين سيزودونهم بها.

ولهذا فحتى لو افترضنا أن التحول المُبشر به سيجلب فائدةً، ستكون الاستفادة منها محصورةً في قلة قليلة سيزداد تحكمها في بقية البشر الذين سيصبحون والحال هكذا في مرتبة أدنى من العبيد.

ليس ثمة ما يُثير الاستغراب إذن في هذا الموقف، الذي يتقاطع مع ما يتبناه المحافظون. فالمجادلات التي يعتمد عليها التقدميون مختلفة عن تلك التي يُحاجج بها المحافظون، برغم أن الفريقين يلتقيان عند رفض التخلي عن أخلاقيات السياسة البيولوجية. وليست هذه المرة الأولى، فقد التقى Eugenics ، الفريقان في مقاومة الأفكار المتعلقة ببرامج تحسين النسل ، واتفقا على أنها عنصرية.

وينضم كثير من الحركات النسوية إليهما، ولكن من زاوية أثر التغيير البيولوجي في تعميق التفاوت بين الرجال والنساء. تعتقد هذه الحركات أن التغيير المُبشر به سيؤدي إلى مزيد من الهيمنة الذكورية، على أساس أن معظم من قد يتحولون إلى كائنات حية سيبرانية رجال... السياسة البيولوجية، إذن، ليست مسألة علمية فقط، بل اجتماعية وثقافية أيضاً وربما أكثر.